وقال ايضا لست أنسى ولكن أنسى فلما قال له السايل اقصرت الصلاة
ام نسيت انكر القصر نفيا والنسيان نفيا لانه هو من قبيل نفسه وانه ان كان جرى
شي من ذلك فقد نسيته فلما سال وتحقق علم انه نسي ليشرع فقوله
على هذا لم انس ولم تقصر او كل ذلك لم يكن صدق وحق اذ لم ينس حقيقة
ولكنه نسي فان قلت فما بال لم يمنع من اسناد النسيان اليه ولم يمنع من اسناد
السهو اليه قلت لان النسيان غفلة وآفة والسهو انما هو شغل فكان
صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته شغلا لا غفلة وبهذا يحصل الجواب
ايضا عن الحديث ولم يكن في قوله ما قصرت الصلاة ولا نسيت خلف قول
واما قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام فهي خارجة عن الكذب
لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض التي فيها مندوحة
عن الكذب فاما قوله اني سقيم فمعناه ان كل مخلوق معرض لذلك قاله
قاصدا به التورية عن تركه خروجه معهم لعيدهم وقيل سقيم بما قدر
علي من الموت وقيل سقيم القلب بما اشاهده من كفركم وعنادكم وقيل
كانت الحمى تاخذه عند طلوع نجم معلوم فلما راه اعتذر بعادته وقيل
غير هذا وكل هذه الاقاويل ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق
واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الاية فالشرط فيها اعني ان كانوا
ينطقون راجع لقوله بل فعله كبيرهم هذا الا لقوله فاسألوهم والحال
جاز ان يستلزم المحال الزاما للخصم وتبكيتا له فكانه قال ان كان كبيرهم
هذا ينطق فهو فعله وهذا صدق ايضا لا خلف فيه واما قوله في سارة
اختي فقد بين صدقه في الحديث حيث ورد انه قال لها انك اختي في
الاسلام وهو صدق وقد قال تعالى انما المؤمنون اخوة فان قلت فقد
سماها نبينا صلى الله عليه وسلم كذبات وقال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث
كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته قلت معناه ان ابراهيم
عليه الصلاة والسلام لم يتكلم بكلام صورته الكذب مع كونه حقا في الباطن
الا بهذه الكلمات فان قلت فكيف اشفق منها عليه الصلاة والسلام
وتقاعد لاجلها عن الشفاعة قلت لما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها
اشفق عليه الصلاة والسلام من مؤاخذته بها واما قوله هذا ربي فهو
على سبيل الفرض والتقدير كما يوضع الحكم الذي يراد ابطاله او على الاستفهام
او على انه كان في مقام النظر والاستدلال وذلك قبل البعثة وفي هذا
نظر لا يخفى واما قصة موسى عليه الصلاة والسلام فلا كذب فيها اذ يجوز
ان يكون قوله انا اعلم مبنيا على اعتقاده وغلبة ظنه ويؤيده انه وقع
في بعض طرق الحديث الصحيحة عن ابن عباس هل تعلم احدا اعلم منك
قال لا فكان جوابه مبنيا على علمه فهو خبر حق وصدق لا خلف فيه ولا شبهة

اوانه

او انه اراد بقوله انا اعلم بما يقتضيه وظائف النبوة من علوم التوحيد والامور
الشرعية وسياسة الامة وان كان الخضر اعلم منه بامور اخر لا يعلمها احد
الا باعلام الله تعالى من علوم غيبية كالقصص المذكورة في خبرهما فكان
موسى عليه الصلاة والسلام اعلم على الجملة بما تقدم والخضر اعلم على الخصوص
بما اعلمه الله به من تلك القصص ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من
لدنا علما وعتب الله تعالى عليه في قوله ذلك فيما قاله العلماء انه لم يرد
العلم اليه كما ردت اليه الملائكة اذ قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا واما لانه
بادر الى قوله ذلك غير متحفظ من غوائله اطلاقه الحاجة الى غيره وهو
مقتدى به فربما اقتدى به فيه غيره ممن لم يبلغ كماله في تزكية نفسه
وعلو درجته من امته فيهلك لما تضمنه من مدح الانسان نفسه الذي
ربما اورثه الكبر والعجب والتعاظم والدعوى كما تحفظ منها محمد صلى الله
عليه وسلم حيث قال انا سيد ولد ادم ولا فخر وبالجواب الثاني يندفع
احتجاج من احتج بقوله في هذا الحديث بل عبدنا خضر اعلم منك على نبوة
الخضر اذ لا يكون الولي اعلم من النبي نعم الانبياء يتفاضلون في المعارف
نعم احتجاج بعضهم على نبوته بقوله وما فعلته عن امري حيث دل على
انه بوحي قوي واما اجيب به عنه من احتمال ان يكون بامر نبي اخر
ضعيف اذ لم يعلم انه كان في زمن موسى عليه الصلاة والسلام نبي غيره
سوى اخيه هارون وما نقل احد من معتبري اهل الاخبار في ذلك شيئا يعول
عليه على ان بعضهم قال انما اتى موسى الى الخضر للتاديب لا للتعليم قلت والاية
ظاهرة في خلاف قوله فليتامل فان قلت فقد قال تعالى يا نوح انه ليس من
اهلك بعد قول نوح ان ابني من اهلي وهذا تكذيب صريح له قلت انه
ليس بتكذيب بل هو تنبيه له على ان المراد بالاهل الموعود بانجائهم هم
الصالحون او ان المراد انه ليس من اصلاد بنيه او انه اجنبي منك وان
اضفته الى نفسك تغليبا لاختلاطه بابنائك لما روي انه كان ابن امرأته
والاجنبي انما يعد من ال النبي اذا كان له عمل صالح نظرا الى واجب ثالث بقوله
بالضاد المعجمة الى ضم له الى ما يجب لهم عليهم الصلاة والسلام وصف
بمعنى التفطن لالزام الخصوم ومحاجتهم وطرق ابطال دعاويهم الفطانة
الباطلة ومذاهبهم الباطلة فقد قال تعالى في مجادلة ابراهيم لقومه
وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه وقال تعالى الم تر الى الذي حاج
ابراهيم في ربه الاية وقال تعالى حكاية عن قوم نوح قالوا يا نوح قد
جادلتنا فاكثرت جدالنا وقد طالت مجادلة فرعون لموسى في تحقيقه
السحر لما رضيته سبيلا ونقضه في عند البحر لما تلكه فانقطع عذابا
وبيلا وقال تعالى في حق سيد الجميع محمد صلى الله عليه وسلم وجادلهم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1